عظة الخوري يوحنا داوود

في القدّاس الإلهيّ من أجل الراقدين على رجاء القيامة

كنيسة سيّدة العناية– البوشريّة

٢٠١٧/٥/٤

"المسيح قام من بين الأموات، ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للّذين في القبور"

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، آمين.

إنّ الإنسان هو الكائن الوحيد الّذي خاطبه الله بالكلمة، فالله لم يخاطب لا الحيوانات ولا الطبيعة بالكلمة، إنّما فقط خاطب الإنسان بها. وإذا حذَفْنا الكلمة، لا يعود الإنسان إنسانًا، لأنّ الإنسانَ مجبولٌ بكلّ كيانه، ليكون مشدودًا صوب الكلمة. يجهد الأهل على تربية أولادهم بواسطة الكلمة، ولكن إذا اضطروا إلى اللّجوء إلى أساليب العُنف، يُسرِعون في الشرح لأبنائهم أنّ تلك الوسائل لا تُستَعمل مع الإنسان، لأنّ الإنسان يتربّى بالكلمة وينشأ عليها وينمو بها.

إنّ إيماننا يرتكز على كلمة الله، يسوع المسيح، تلك الكلمة الّتي لم تَشأ أن تبقى بعيدة عن الإنسان، بل تجسّدت وسكنَت بين البشر حين وَجَدت أنّ الإنسان بدأ يبتعد شيئًا فشَيئًا عن الهدف الّذي خُلِق لأجله، فيُوحنّا الرسول يبتدئ رسالته الأولى بالقول: "ذاك الّذي سمعناه، ذاك الّذي رأيناه بِعَينَينا، ذاك الّذي تأمَّلناه، ولمسته يَدانا...نبشّركم به أنتم أيضًا" (١ يو١/١و ٣). إذًا، إنّ كلمة الله قد اقتربت من الإنسان وسكنَتْ فيه، كي يبقى الإنسان إنسانًا.

وفي حياتنا البشريّة، الكلمة نوعان: الأولى تُميت، أمّا الثانية فتُحيي، لأنّها "الكلمة"، يسوع المسيح. وهذا ما سمعناه في الإنجيل الّذي تُلي على مسامِعنا اليوم، إذ يقول إنّ كلَّ مَن يرى ويُؤمِن بابن الله الكلمة، فَلَهُ الحياة الأبديّة. إذًا، إنّ كلمة الله تُحيِي الإنسان، وهذا ما يقوله المسيح يسوع ربُّنا إنَّ مشيئة الله الآب الّذي أرسَلَه هي حياة الإنسان. لقد كان يسوع المسيح في حالة من الطاعة التامّة لمشيئة الله الآب وإرادته وتدبيره. وعلى المؤمن أن يُقرِّر، فيختار إمّا الخضوع لله الآب بكامل إرادته وحريّته، يُطيع كلمته ويعمل بها فيَنال الحياة الأبديّة، وإمّا الخضوع لكلمة "الكذّاب وأبو الكذّابين"، فيحصد الموت. إنّ كلمة الله تَمنَح الحياة لكلّ مَن يؤمن بها، فالمسيح يقول: "مَن آمَن بي، وإن مات فسيحيا" (يو ١١:٢٥).

في هذا الزّمن الفِصحيّ المبارك، وفي الخميس الأوّل مِن الشهر، نحتفل بالذبيحة الإلهيّة، وَنذكُر فيها مع "جماعة أذكرني في ملكوتك"، كلّ الّذين رَقدوا في المسيح. وفي هذا الزّمن الفِصحيّ، وَدَّعْنا أحد أعضاء جماعة "أذكرني في ملكوتك" الشباب، ميكال. إنّه شابٌ قد أحبّ المسيح، وقرّر أن يحيا حياته طائعًا لكلمته، وقد أدرَك ميكال أنّ المرض الّذي فَتَك فيه لم يكن للموت، إنّما لمجد الله. لقد اختبر هذا الشّاب الأبوّة من خلال أبوَّته لطِفلين مُطيعين لكلمة أبيهما، ممّا أدّى إلى اكتشَافه مِن خلال تلك الأبوّة، أُبوّة الله له. لقد عرفَ ميكال أنّ لا شيء سوى كلمة الله، يسوع المسيح، قادرة على مَنحِه الحياة الأبديّة، لذلك عَشِق كلمة الله، وعاش حياته في اتّحادٍ مع تلك الكلمة المتجسِّدة في الافخارستّيا. تناول قَبل رحيله القربان المقدَّس، فرحلَ عن هذه الفانية مُطمئِن البال وبسلام داخليّ لا يُوصَف.

إخوتي، إنّنا نصلّي في الخميس الأوّل مِن كلّ شهر مع جماعة "أذكرني في ملكوتك"، من أجل إخوتنا الراقدين، وصلاتنا هذه ليست عن عَبَثٍ، إنّما تنبع مِن إيماننا بالمسيح القائم، إذ لا موت في الربّ، وبالتّالي لا أموات في الربّ، لأنَّ إِلَهَنا هو إله أحياء لا إله أموات. إنّنا نتشارَك في هذه الذبيحة الإلهيّة لِنُعبّر عن نُكرانِنا للموت، إذ إنّنا لا نعترِف به حتّى في قانون الإيمان، إذ نقول فيه: "تألَّم وقُبِر وقام"، مِن دونَ أن نذكر كلمة "ماتَ"، لأنّ الإنسان المؤمن لا يموت، بل يتَّحِد بالربّ ويلتَصِق به. فكم أتمنّى أن يتمكّن كلّ مؤمن مِن الصُّراخ لله كما صرخَ لصّ اليمين "أذكرني يا سيّد في ملكوتك". إنّ لِصّ اليمين تمكّنَ مِن استغلالِ الفُرصة الأخيرة الّتي أُعطِيَت له، إذ طلب مِن المسيح أن يَذكُره في ملكوته، حين كان مُعلَّقًا إلى جواره على الصّليب. إنّنا نرتّل في الذبيحة الإلهيّة، حين يحين موعد التقرُّب من القربان المقدَّس للمناولة: "أذكرني في ملكوتك". إنّ صلاتنا من أجل الراقدين، تشكّل فرصةً، ونحن في حالة انتظار كي يحين دورنا للقاء الربّ والاتّحاد به، كي يُجدِّد كلّ منّا إيمانه بالربّ القائم، الّذي سيُقيمنا معه، إذ إنّ المسيح قد غلب الموت بقيامته، ليغلب كلّ موتٍ فينا، فيُقيمنا معه ويَمنحُنا الحياة الأبديّة. إنّ الإنسان لا ينال الحياة الأبديّة والانتصار على الموت، إلّا متى تبنّى كلمة الله في حياته، واتّحد بها مِن خلال الإنجيل والوَعظ والإرشاد، والاشتراك في الأسرار المقدَّسة وبخاصّة في سرّ الافخارستّيا. إنَّ الافخارستّيا تَمنَحُنا الاتّحاد الكامل بكلمة الله حين نتناول القربان المقدَّس، فالمناولة تجعل منّا أبناءً حقيقيين لله الآب، ولذا نحن نرتّل في هذا الزّمن الفِصحيّ "أنتم الّذين في المسيح اعتمدتم، المسيح لبستم". فطوبى للإنسان الّذي يعيش في هذا الاتّحاد لابسًا المسيح.

نذكر اليوم، في هذه الذبيحة الإلهيّة، جميع الراقدين وبشكلٍ خاصّ، ميكال، الّذي رَقَد بالربّ، فنقول له: "طوبى لك لأنّك لبِسْتَ المسيح ولم تخلَعه، فَما إن عَبَرْتَ الموت، حتّى كنتَ قائمًا في المسيح". إنّ هذا الكلام يُعبّر عن إيماننا، فإنْ تخلّينا عن هذا الإيمان أو رفضناه، أصبحنا أشقى النّاس، كما يقول الرّسول بولس. لذا على هذا الرّجاء، في هذا القدّاس المبارك، نحمل في صلواتنا كلّ الراقدين ونرفعهم أمام الله الآب، فَهُم شفعاء لنا في المسيح يسوع، أوّل القائمين مِن بين الأموات، والّذي سيُقيمنا معه، لمجد الله الآب والابن والرّوح القدس. آمين. ملاحظة: دُوِّنت العظة مِن قِبَلِنا بتصرُّف.